مغربيات مقيمات بالإمارات يرتمين في أحضان المجهول وأخريات يشتغلن في وظائف عالية

"الدعارة ينبغي أن تُجتث من المغرب قبل اجتثاثها من الإمارات، والشاذ لا يُقاس عليه"

عندما أخبرتهن سفارة المغرب بالإمارات العربية المتحدة بأن مجلس الجالية المغربية بالخارج سينظم في الأسبوع الأخير من شهر نونبر الماضي أياما ثقافية وفنية تتضمن معرضا لمنتوجات الصناعة التقليدية النسائية المغربية وندوة فكرية تحت شعار "مغربيات من هنا وهناك" في إطار الملتقى الجهوي الرابع لدول الخليج، لم يرغبن في أن تمر الفرصة دون الحضور بكثافة للمشاركة في هذه الأيام من خلال مساهمتهن في النقاش الذي دار بينهن وبين برلمانيات مغربيات وفاعلات جمعويات، وللإدلاء بآرائهن حول موضوع اعتبرنه في غاية الحساسية، لأنه يتعلق بصورة نمطية يحملها الكثيرون عن النساء المغربيات المقيمات في بلدان الخليج.

"الأحداث المغربية" التي كانت حاضرة في هذه الأيام الثقافية التي نظمت في مدينتي أبو ظبي ودبي أجرت لقاءات مع بعض هؤلاء النساء في أماكن مختلفة، واستمعت إلى شهاداتهن، وأنصتت إلى انشغالاتهن، وتعرفت على الدور الذي يمارسنه في الغربة.

◆ أحمد الدافري

«الدعارة مستشرية في المغرب، ولا يمكن لأي مغربي أن ينكر وجودها سواء في المدن أو في القرى. فإذا أردنا أن نحارب ممارسة المغربيات للدعارة سواء في الخليج أو في أي بلد آخر، ينبغي أن نحاربها من أصلها، أي باجتثاثها كليا من المغرب، من خلال ضمان الحياة الكريمة والشريفة للواتي يمارسنها قسرا تحت وطأة ضيق ذات اليد والحاجة في بلدهن الأصلي. وإلا، ماذا يمكن أن ننتظر من امرأة تحصل على تأشيرة السفر إلى الخليج بحثا عن عمل، وهي لا تتوفر على أي مؤهلات أو كفاءة لامتهان حرفة معينة ماعدا مهنة واحدة دأبت على ممارستها في بلدها، هي مهنة الدعارة؟».

بهذه العبارة أجابتنا «مُنى»، المرأة المغربية ذات الأربعين ربيعا ونيف، التي تشتغل في مجال الديكور بشركة عقارية في دبي، عندما سألناها عن رأيها في ما يروج حول ممارسة بعض المغربيات المقيمات بالإمارات للدعارة.

○ المغربيات ممنوعات من العمل في البيوت

كلام مُنى التي التقينا بها خلال ندوة «نساء من هنا وهناك» التي شارك فيها سفير المغرب في الإمارات ونسوة من مجلس الجالية المغربية في الخارج كان ينبض بالمرارة وهي تُحاول أن تشرح لنا أن الكثير مما يُلصق بالمرأة المغربية المقيمة في الخليج هو مجرد كليشيهات يتلذذ البعض بترديدها بتعميم شديد، ودون تمييز بين من تأتي للاتجار في شرفها وبين من تأتي للعمل بكفاءتها في مجالات علمية واقتصادية.

محمد أيت وعلي سفير المغرب في الإمارات كان واحدا من بين العناصر الفاعلة في إنجاح الأيام الثقافية التي نظمها مجلس الجالية المغربية بالخارج في أبو ظبي ودبي، وساهم في الندوة التي بُرمجت ضمن هذه الأيام بمداخلة حاول أن يُصوّب فيها بعض الأفكار التي يحملها بعض المغاربة المقيمين في أرض الوطن عن بلدان الخليج قائلا «دول الخليج عموما، والإمارات العربية المتحدة خصوصا، تسير بخطوات سريعة جدا نحو إحداث إطار قانوني منصف ومتكامل للتعامل مع العمالة الأجنبية كيفما كانت. لكن ينبغي التمييز بين فئات من هذه العمالة، ومن بينها العمالة المغربية التي تنقسم إلى أنواع. فهناك الأطر العليا التي تتقن اللغات والتي حصلت على دبلومات وشهادات تعاقداتها مع البنوك أو المؤسسات الاستثمارية التي تشتغل معها، وهو قانون لا علاقة له بنظام الكفيل. وعندما ينتهي العقد الذي يربط أحد هذه الأطر مع المؤسسات التي يشتغل فيها، يستفيد من مدة شهر واحد من الإقامة ريثما يحصل على عقد عمل مع مؤسسة أخرى، قبل أن يكون ملزما بمغادرة البلاد. وإذا استوفى مدة شهر وبقي في البلد دون أن يحصل على عمل، تحسب عليه غرامة عن كل يوم. أما بالنسبة إلى عاملات البيوت، فالقانون يمنع أن تكون الخادمة مغربية. وهذا القانون في الحقيقة يناسبنا نحن المغاربة. لأننا أولا لا نستطيع منافسة الخادمات الفيليبينيات مثلا، المتخصصات في هذا المجال، واللائي يمارسنه بطريقة جيدة وبأساليب دقيقة. وثانيا لأن الأجور التي تتقاضاها الخادمات زهيدة جدا ولا يمكن أن تشكل حافزا لامرأة مغربية على البقاء هنا».

ويضيف السفير المغربي في شرحه لأنواع الأعمال التي تقوم بها العمالة المغربية في الإمارات «هناك أيضا مغاربة يشتغلون مع الدولة وتربطهم عقود واضحة معها، ينبغي احترامها، وكل من يخرقها يتعرض للطرد، ولا مجال هنا للحديث عن ما يسميه البعض طردا تعسفيا، وأنا أتابع شخصيا الملفات التي تصلني بخصوص الحالات التي يتم فيها طرد بعض العاملين المغاربة».

○ مغربيات يتزوجن بخليجيين بواسطة الإنترنت

السفير المغربي بالإمارات كشف في المداخلة التي ألقاها في الندوة عن حالات نساء يصلن إلى الخليج بطريقة غريبة وفيها الكثير من المغامرة وبدون أن يستشرن مع السفارة، وقال بأنه عندما تتعرض هذه الفئة من النساء إلى مشاكل، يبدأن في توجيه اللوم للسفارة معتبرات أنها لا تهتم بمعاناتهن، وذلك بعدما تكون مشاكلهن قد أصبحت في منتهى التعقيد ويصعب إيجاد حل لها. «بعض الفتيات المغربيات غير المتعلمات يتزوجن بخليجيين، ولا يسألن نهائيا عن حقوقهن قبل أن يرتمين في أحضان المجهول، ولا يتصلن بالسفارة لمعرفة ما ينبغي عليهن أن يقمن به إلا بعد فوات الأوان. وعندما تحدث المشاكل يبدأ تداول الحديث حول تقصير السفارة في تقديم المساعدة لهن. ما أطلبه من السياسيين ومن الفاعلين المدنيين المغاربة هو عدم التعميم. فالمشاكل التي الأزواج في مختلف مناطق العالم. والمشكل يصبح معقدا أكثر عندما تتأخر المرأة في السؤال عن حقوقها».

وعن الوضع الاعتباري للمرأة المغربية في الوظائف والأعمال التي تمارسها، يقول السفير المغربي «هناك تطور كبير في قوانين اليد العاملة بالإمارات، والعامل يحظى بحقوقه الكاملة هنا، وخاصة العاملات، عكس ما يعتقد الكثير من الناس في المغرب. فلا توجد امرأة في الإمارات حقها مهضوم، إلا في بعض الحالات التي يمتزج فيها الجهل والأمية بعدم الرغبة في السؤال عن الحقوق والارتماء في أحضان مغامرة غير محسوبة العواقب. فكيف مثلا يمكن لامرأة أن تتزوج بالإنترنت عن طريق كفيل لا تعرفه، تبعث إليه بوثائق، ويهيء لها عقد الزواج، ثم تأتي للعيش في بلد تجهل كل شيء عنه؟ فالتوعية يجب أن تظل دائمة في صفوف النساء المغربيات، ويجب أن يتحمل الجميع دوره لتطويق هذه المشاكل، الأسرة، المجتمع المدني، والدولة بمؤسساتها الإعلامية وقطاعاتها الاجتماعية».

○ نادية المنصوري: ابنة شهيد مغربي تتألق في الغناء

لا أحد ينكر وجود مغربيات في الإمارات يقتتن من ممارسة مهن الليل، مثل نساء كثيرات من جنسيات عديدة، كالسوريات واللبنانيات واليمنيات والمصريات والفيليبينيات والتايلانديات والصينيات وحتى

الروسيات والأوكرانيات والتشيكيات ونساء أخريات من بلدان أوروبية أخرى. والكثير من هؤلاء النسوة اللائي يمارسن تجارة الجسد

لكن، هناك بالطبع استثناءات، إذ أن هناك بالفعل من هن فنانات حقيقيات استطعن أن يفرضن أنفسهن في مجال الطرب والغناء بمواهبهن وأصواتهن واجتهادهن، فأصبح لهن صيت واسع داخل الإمارات، وتمكن من نيل احترام الإماراتيين والإماراتيات، مثل الفنانة نادية المنصوري، ذات الجذور المكناسية، والتي ترعرعت في مدينة مراكش، وتعيش في دبي منذ ثلاث سنوات، بعد ثلاث سنوات أخرى كانت قد قضتها في أبو ظبي. وقد غنت عندما حلت بأبو ظبي بالفرنسية والإنجليزية وباللهجة المغربية، قبل أن تتجه كليا إلى الغناء باللهجة الخليجية عندما انتقلت للعيش في دبي.

نادية المنصوري هي ابنة الشهيد المغربي بوجمعة المنصوري الذي كان عسكريا في السلاح الجوي بالقوات المسلحة الملكية قبل أن يسقط قتيلا فوق رمال الصحراء المغربية ويتركها رفقة أمها وهي لا تتجاوز ثلاث سنوات. هي الآن وجه فني معروف في التلفزيون والإذاعة بدولة الإمارات، أنجزت إلى حد الآن 12 أغنية منفردة وصورت ست أغان خليجية، ما عدا أغنية واحدة هي «الله يا مولانا» التي أخذتها من تراث ناس الغيوان، ويمكن الاطلاع على هذه الأغاني بكتابة اسم «نادية المنصوري» في الحيز المخصص للبحث في موقع يوتوب الإلكتروني.

التقينا نادية المنصوري في افتتاح معرض الصناعة التقليدية النسائية المغربية في أبو ظبي بالمركب التجاري «غاليريا مول» الفخم الذي كان جلالة الملك شارك في تدشينه في زيارته الأخيرة إلى الإمارات، وسألناها عن صورة المرأة المغربية في الإمارات، فطلبت منا أن نسجل جوابها وهي واقفة بين الأعلام المغربية في مدخل المعرض، فاستجبنا لطلبها وشرعنا في الإنصات «أنا ابنة المغرب، ووطني يجري في دمي أينما حللت وارتحلت، وهدفي هو أن أمثل هذا الوطن الذي أحبه والذي استشهد والدي من أجله أفضل تمثيل. والمغرب، لا يمكن أن ينكر أي واحد هنا في الإمارات، أنه بلد عريق حضاريا، له حضور وازن على المستوى العربي في كل المجالات، ومتفتح على كل الثقافات. ومن ثمة، فأنا باعتباري مغربية مقيمة في الإمارات، يشرفني في كل اللقاءات والمنتديات أن أقول بأنني مغربية، وأشعر بالكثير من الفخر والاعتزاز ببلدي، لأن رؤية الآخر إلى المغاربة فيها الكثير من التشريف والاحترام. وكوننا في المغرب الناس كلهم يحبوننا. صحيح أن هناك بعض المغاربة الذين لا يصلحون لتمثيل بلدهم من خلال ما يصدر عنهم من سلوك، لكن هذه الفئة قليلة جدا».

○ هدى وليلى وسناء... ثلاثة نماذج للاندماج والفعالية

هدى الناجي تخرجت من مدرسة التجارة والتسيير «ESG» بباريس، تقيم وتشتغل في شركة «دبي إنترنت سيتي» بأبو ظبي منذ 14 سنة، لها شركة خاصة للإعلاميات، متزوجة برجل أجنبي من جنسية أوروبية ولها طفل عمره خمس سنوات وطفلة عمرها سنة ونصف. التقينا بها خلال الحفل الفني الذي أحيته فنانة الملحون ليلى المريني وفنانة الكوميديا حنان الفاضلي لفائدة الجالية المغربية

في أبو ظبي، وسألناها هي الأخرى عن الصورة الراسخة في بلد مُحافظ مثل الإمارات عن امرأة مغربية مثلها، ترتدي لباسا عصريا وتمارس عملا راقيا وتتقن لغات أجنبية، فأجابت مبتسمة «في البداية، قد تكون نظرة الإماراتيين إلى الفتاة المغربية نوعا ما سلبية، وقد يخلطون ما بين كل النماذج والأصناف في سلة واحدة، ويشرعون في مناوشتها، لكن الأمر يتوقف عليها لتصحيح الوضع. فإذا تمكنت من تحصين نفسها وأن تثبت لهم بأنها متعلمة ومتزنة ورزينة، فإنهم يتعاملون معها باحترام ويقدرونها ويُشجعونها على البذل والعطاء في مجال تخصصها. فمثلا، أنا أشتغل في مجال البرمجيات، متخصصة في برامج « Bulk SMS » التي تقتنيها منا شركات خاصة

من اليمين إلى اليسار عبد الله بوصوف أمين عام مجلس الجالية وسعاد الطال

إماراتيون كثيرون يتعاملون معي بأقصى أشكال الاحترام، ويهيئون لي كل الظروف التي تجعلني أشعر بالراحة والاطمئنان».

ليلى حمادي بوشويط، التقينا بها في المكان ذاته، وهي في الأصل من مدينة الرباط، وتقيم في أبو ظبي منذ 17 سنة، متزوجة بإماراتي، هو معتصم جاسم المدفع مدير مكتب الشيخ نهيان بن مبارك آل نهيان وزير التعليم في أبو ظبي سابقا ووزير الثقافة والشباب وتنمية المجتمع حاليا. تتقن الفرنسية والإنجليزية، وابتدأت مسارها المهني بأعمال التجارة، حيث فتحت محلين تجاريين لماركات عالمية للملابس النسائية في أبوظبي ودبي، وبعدما اكتسبت الخبرة في مجال المبيعات، اقترح عليها زوجها أن تدير أعماله في مجال التجارة والعقارات. وعن علاقتها بالوسط الإماراتي تقول ليلى «بحكم أن زوجي له علاقة بالوسط الدبلوماسي وكان سابقا مديرا لمكتب تشريفات الشيخ زايد، فإنه من الضروري أن أكون معه في كل المناسبات الدبلوماسية التي يحضرها، وهو جد متفتح في هذا الإطار. وقد كان زواجي به فأل خير عليه (تضحك) لأنه حصل على ثلاثة أوسمة من النمسا وفرنسا وإيطاليا». وتأكيدا لكلامها، تخرج ليلى هاتفها المحمول، وترينا صورتها مرتدية قفطانا مغربيا جميلا سماوي اللون وهي تتوسط الشيخ نهيان بن مبارك وزير الثقافة والشباب وتنمية المجتمع وزوجها وهو يحمل في صدره وسام دولة النمسا.

أثناء أخذنا لتصريحات هدى وليلى، كانت توجد بجوارنا سناء ثابت، الصحافية المغربية المتميزة، التي قدمت إلى أبو ظبي للاشتغال في مجلة «زهرة الخليج» قبل خمس سنوات، وهي متزوجة بمهندس مصري يشتغل في مجال المعلوميات، وأم لطفل ازدان به بيتها قبل حوالي أربعة أشهر، منحته اسم يوسف، وهي تُعد الدينامو المحرك للكثير من المبادرات التي تهم النساء المغربيات المقيمات في الإمارات، من بينها مبادرة إنشاء مجموعة «وريدة» في موقع فيسبوك، وهي مجموعة مُغلقة وخاصة فقط بالنساء، فكرت سناء في إحداثها لفتح المجال للمغربيات المقيمات في الإمارات لمناقشة مواضيعهن الخاصة بشكل حميمي وبدون عوائق.

«ما يهمني من خلال هذه المجموعة، هو أن تستعيد المرأة المغربية التي تعيش في الخليج ثقتها بنفسها، ولا يهمني ما يُقال عنها في المغرب. فزيادة على معرفتي بمغربيات يشتغلن هنا في وظائف عالية بحكم مهنتي، فأنا أتعرف كذلك على نساء يمارسن أشغالا بسيطة وذوات مستوى علمي بسيط، وهذه الفئة الأخيرة هي التي أحاول أن أعيد لها الثقة في نفسها حتى تتوقف عن نبذ ذاتها، وعن العيش داخل دائرة مُغلقة، وعن الاعتقاد بأن ربطها لعلاقات مع نساء مغربيات سيجلب لها المشاكل نظرا لما يتم ترديده من أقاويل حول السمعة السيئة للمرأة المغربية. وقد نجحتُ بشكل كبير في هذه المهمة، من خلال هذه المجموعة التي أصبحت ذائعة الصيت وسط مغربيات الخليج». تقول سناء ثابت التي جاءت لمواكبة فعاليات الأيام الثقافية المغربية في أبو ظبي بناء على دعوة رسمية من السفارة المغربية التي تنسق معها من أجل تنظيم العديد من الأنشطة لفائدة النساء المغربيات، مثل الرحلات الجماعية المختلطة في المناسبات الوطنية والأعياد الدينية ومع قدوم فصل الربيع، حيث تُقام خرجات شواء بحرية أو في المنتزهات الخضراء، التي يتم خلالها تمكين المغاربة من الإنصات إلى بعضهم البعض بلهجتهم المغربية، وهي أنشطة تتم الدعوة إليها عبر مجموعات في الفيسبوك، أمام صعوبة تكوين جمعيات مختصة في مثل هذه الأنشطة، نظرا لتعقيدات القوانين المنظمة لتأسيس الجمعيات في الإمارات.

○ نادية ومينا: «نحظى بالاحترام هنا ونتعرض للمضايقات في بلدنا»

الطلاق من زواج سابق في المغرب جئت إلى هنا، وأجريت تدريبات في الإدارة واشتغلت في قسم تطوير الأعمال في مجال البترول». قالت لنا مينا بانشراح، وبطريقة مسترسلة وكأنها تصف مباراة سريعة في كرة القدم. وهي طريقة جعلتنا نرفع التكلف فيما بيننا وشجعتنا على أن نسألها إن كانت وضعيتها العائلية باعتبارها امرأة مطلقة ساهمت في منحها حظوظا أوفر من أجل الحصول على عمل ذي مردود مالي جيد، أم أن الأمر له علاقة باعتبارات أخرى.

«الفرق بين هذا البلد وبيننا في المغرب، هو أن هنا يعطونك مجالا لكي تنطلق مما تتوفر عليه من قدرات وإمكانيات، ويحفزونك على أن تبذل أكثر من أجل تحقيق النجاح. أما في المغرب، فهناك نوع من المحسوبية والوساطات والاستغلال للمرأة، وهي أمور لا توجد هنا على الإطلاق. فالمقياس هنا هو الكفاءة، سواء بالنسبة إلى المرأة أو الرجل. وبالتالي، أن أكون مُطلقة أو متزوجة أو عازبة، فهذا أمر ليس له أي أهمية في هذا البلد».

○ إيمان وابتسام: جدارة في التسيير ونجاح في التشكيل

إيمان الغول، أبوها من وجدة وأمها فاسية، تشتغل منذ ست سنوات في دبي مديرة المنطقة لشركة فرنسية متخصصة في المضخات الصناعية الكبيرة المستعملة في مجال البترول وفي الصناعات الغذائية. درست في المغرب في المدرسة العمومية إلى أن حصلت على شهادة الباكالوريا في العلوم التجريبية، ثم درست التجارة وتسيير المقاولات في معهد خاص بالمغرب، ثم انتقلت إلى فرنسا

فيها، واللغة التي تُمارس بها عملها هي الإنجليزية.

«الحقيقة أن سنتي الأولى في العمل كانت صعبة، وكان هناك نوع من التساؤل لدى أصحاب الشركة حول مدى نجاح امرأة مغربية في منصب إداري وهل بإمكانها أن تبلغ المستوى الذي ينتظرونه منها. لكن الحمد لله، عندما يرون الجد والاجتهاد والكد والنوعية في العمل والنتائج المحصل عليها، لا يبقى هناك أي مشكل، فتغيب الاعتبارات المتعلقة بجنس المستخدم وبجنسيته، ولا تبقى حاضرة سوى شخصيته وكفاءته». تقول إيمان بثقة في النفس، والتي زيادة على إتقانها للفرنسية والإنجليزية والعربية تحسن التواصل باللغة الإسبانية، وتعتز بهويتها المغربية، ولا تريد أن تفرط فيها على الإطلاق، وهي تميز ما بين الاندماج مع البلد المضيف الذي هو عملية إيجابية، وما بين الذوبان الكلي داخله إلى درجة الانسلاخ النهائي عن لغة البلد وثقافته وهي عملية سلبية، وترى أن النجاح في العمل وكسب ثقة المشغلين ينبني أساسا على العلم والمعرفة والاجتهاد.

في القاعة التي كانت تحتضن الندوة النسائية، والتي التقينا فيها بإيمان، كان لنا لقاء كذلك مع ابتسام أبوعنان، الفنانة التشكيلية المغربية المتحدرة من مدينة فاس، ذات الملامح الأوروبية، المتزوجة بليبي، والمقيمة في أبو ظبي منذ سنة 2002، وهي اسم معروف في مجال الفن التشكيلي بأبو ظبي، مُشتهرة برسمها للخيول العربية، وتقتني أكبر الشخصيات في الدولة الإماراتية لوحاتها، وهي خريجة مدرسة الفنون الجميلة بالدار البيضاء، وأتمت دراستها في إنجلترا.

«صقل الموهبة والاجتهاد كفيلان بخلق الأسلوب الخاص بالفنان الذي يُعرف به في كل الدول»، تقول ابتسام قبل أن تضيف بأن دول الخليج بدأت مؤخرا تهتم بالفن التشكيلي بشكل كبير، وتوضح بأنها قامت في سنة 2008 بتنظيم معرض في المغرب وآخر في الإمارات مشترك بين فنانين مغاربة وإماراتيين، وبأن هذه المبادرة كانت ناجحة، وحظيت برعاية من قبل هيأة أبو ظبي للثقافة ووزارة الثقافة المغربية.

○ ماجدة وسعاد: مغربيتان تمارسان مهنتين فريدتين من نوعهما

ماجدة الهلالي كانت واحدة ممن استدعتهن السفارة المغربية للمشاركة في فعاليات الأيام الثقافية المغربية بالإمارات. أصلها من مدينة بني ملال. عاشت في ألمانيا لمدة 14 سنة، ودرست هناك الصيدلة، وعندما جاءت إلى أبو ظبي منذ حوالي سنتين ونصف، اكتشفت أن مجال الصيدلة لا يحقق دخلا ماليا كبيرا في الإمارات، ففكرت في إنشاء شركة يمكن أن تعطي منتوجا له علاقة بمجال تخصصها، فاستغلت كون زوجها إماراتيا وطبيبا في جراحة العظام، أنشأت شركة فريدة من نوعها في أبو ظبي، تُقدم الخدمات العلاجية الطبية والرعاية الصحية لمرضى مقيمين في الإمارات، من خلال توجيههم إلى المصحات المختصة في أوروبا حسب أنواع الأمراض التي يُعانون منها.

السهولة التي يمكن أن يتم بها تأسيس شركات في الإمارات، وبدون مساطر معقدة ولا إجراءات مُضنية، أمر أجابتنا عنه ماجدة التي التقينا بها في بهو الفندق الذي احتضن الجلسة الافتتاحية لندوة «مغربيات من هنا وهناك» التي أدارتها سعاد الطالسي عضو مجموعة العمل «مقاربة

لأني راعيت في تأسيسي للشركة التي أديرها تخصصي الذي درسته، ولكوني أتوفر على المعارف الطبية الكافية. والحمد لله أن الشركة تحظى بإقبال من الناس، أغلبهم من الإماراتيين والأسيويين الذين يعبرون عن رضاهم عن الخدمات التي نقدمها لهم، والتي نمكنهم من خلالها من الذهاب إلى العلاج في ألمانيا»، مضيفة بأن الكثير من المرضى الذين يتعاملون مع شركتها يندهشون عندما يعرفون بأنها مغربية، ويُسرّون لها بأنهم من خلالها تمكنوا من اكتشاف الوجه الآخر للمرأة المغربية.

في الوقت الذي كُنا نتأهب فيه للرجوع إلى القاعة لحضور الجلسة الثانية من الندوة التي كانت ستدور حول موضوع «الالتزام بصيغة المؤنث» التي أدارتها نادية السرحاني عضو مجموعة العمل «الإدارة وحقوق المستخدمين والسياسات العمومية» بمجلس الجالية المغربية بالخارج، استرعى انتباهنا وجود امرأة شابة ترتدي عباءة إماراتية تتكلم باللهجة المغربية مع بعض المغربيات اللائي كُن هن الأخريات يتأهبن للدخول إلى قاعة الندوة. وحين استفسرنا عنها الزميلة سناء ثابت، أخبرتنا أنها أول مغربية تُمارس مهنة المحاماة في الإمارات العربية المتحدة، وهي مهنة فريدة من نوعها بالنسبة إلى امرأة مغربية مُغتربة في بلدان الخليج.

سعاد سايسي من مدينة الرباط ولازالت مسجلة هناك في هيأة المحامين. جاءت إلى الإمارات في سنة 2007، وتشتغل حاليا في مكتب محاماة بأبو ظبي يُعد هو أول مكتب محاماة في الإمارات إذ يعود تاريخ فتحه إلى خمس وثلاثين سنة. فبعدما درست القانون الخاص في كلية الحقوق بالرباط، سجلت نفسها في نقابة المحامين قبل أن تصبح محامية رسمية، واشتغلت مدة ثلاث سنوات محامية في مكتب المحامي محمد زيان، أمين عام الحزب الليبرالي والوزير السابق لحقوق الإنسان، قبل أن تأتي إلى أبو ظبي وتشتغل مستشارة قانونية. وعن سؤال حول طبيعة المشاكل التي يمكن أن تصادفها امرأة مغربية شابة تشتغل في بلد خليجي ضمن مجال مهني صعب يخضع لمنظومات قانونية صارمة تقول سعاد «صادفت في البداية بعض الصعوبات، إذ كان الناس هنا يعتقدون أن النساء المغربيات لا يتوفرن على مؤهلات تسمح لهن بممارسة مهن عليا، وكانوا يستغربون عندما يعرفون أنني أمارس مهنة المحاماة، علما أنني أنا هي المرأة المغربية الوحيدة التي تمارس المحاماة، إذا استثنينا محامية أخرى من أصل مغربي هي الأستاذة عواطف خوري التي لها جنسية إماراتية، والتي بدأت بممارسة المحاماة هنا ولم تأت من المغرب مثلي بصفة محامية». سعاد سايسي، التي هي العنصر النسوي الوحيد في مكتب المحاماة الذي تشتغل فيه مع محاميين مصريين، تتذكر وهي ترسم ابتسامة على شفتيها بأن زملاءها في البداية كانوا يعتقدون أنها لن تكون قادرة على كتابة المذكرات المطلوبة منها باللغة العربية، لكنهم أصيبوا بحالة ذهول عندما اطلعوا على كتاباتها، لأن الفكرة الراسخة في أذهانهم هي أن مستوى شعوب البلدان المغاربية في اللغة العربية ضعيف جدا.

○ صوفيا وحنان: محركتا العمل النسائي المغربي في دبي

بعدما حصلت صوفيا إقبال على الإجازة في الأدب الإنجليزي في الدار البيضاء جاءت إلى دبي سنة 2007 واشتغلت في «بنك المشرق» لمدة سنتين قبل أن تنتقل للعمل في بنك «رأس

تحرش أو مُضايقة ذكورية مثل ما تتعرض له عادة المرأة في عملها داخل المجتمعات العربية، وهناك حضور وازن للمرأة المغربية في القطاع البنكي، بحيث توجد معي الآن في بنك رأس الخيمة حوالي عشر نساء مغربيات، أما في بنك المشرق فقد كانت تشتغل معي خمسون امرأة مغربية « تقول صوفيا، التي التقينا بها رفقة صديقتها حنان بن خلوق، وهما منهمكتان في مناقشة الشكل النهائي للسهرة الفنية التي تكلفتا بالإشراف على فقراتها في قاعة الحفلات بفندق «بولمان سيتي سنتر» بمدينة دبي، والتي تضمنت عرضا للقفطان المغربي وعرضا فكاهيا لحنان الفاضلي وأغان من طرب الملحون لفرقة الفنانة ليلى المريني.

«في دبي، تُقاس المرأة بعقلها وفكرها، وكلما كانت إنتاجيتها أكثر، كلما كانت قيمتها عالية في عملها. أما القول بأن المرأة هنا هي مجرد جسد يُباع ويُشترى، فهو قول فيه تعميم معيب، وحتى إن وُجدت نساء من هذه الطينة، فإن الاستثناء ليس هو القاعدة، والدعارة موجودة في كل بلدان العالم، حتى في السعودية التي يوجد فيها بيت الله الحرام. ولا أدري لماذا لا يجد المغاربة ما يُركزون عليه في الخليج سوى موضوع الدعارة». تقول صوفيا بلهجة صارمة، وبنوع من التأفف وكأنها ضاقت ذرعا بالاستماع إلى مثل هذه الأسطوانات المشروخة، وإلى مثل هذه النقاشات السطحية والفارغة.

حنان بن خلوق، التي كانت ترتدي قفطانا أخضر فاتح اللون، عكس صوفيا التي فضلت ارتداء عباءة مغربية مزركشة بخيوط ذهبية، حاولت أن تهوّن من الموضوع الذي أثير مع صديقتها بتأكيدها على أن «ممارسة الدعارة هي خيار شخصي مرتبط بفكر وبقناعة وبخلفية ثقافية وتربوية معينة، وإصدار الأحكام الجاهزة على النساء المقيمات في الخليج ونعتهن بأوصاف مشينة أمر غير منطقي وينطوي على قصور في التحليل وعيب في القراءة لواقع الحياة في هذا البلد».

حنان بن خلوق تقيم في دبي منذ 2005، وهي متخصصة في مجال المال والاستثمار وريادة الأعمال، وتشتغل بالمركز العالمي المالي بدبي، ولديها أعمال حرة في مجال الاستشارات وتمكين النساء من تنمية مشاريعهن الصغيرة. درست هذا التخصص في الدار البيضاء في المعهد العالي للتجارة وإدارة المقاولات، ثم هاجرت إلى نيويورك التي حصلت فيها على ماجستير إدارة الأعمال والتي عاشت فيها ثماني سنوات، قبل أن تقرر الاتجاه نحو دبي. «جئت إلى دبي لأن فيها تلتئم الكفاءات الأنجلوسكسونية، ولأنها تمثل المكان الأوسط من هذا العالم الذي تلتقي فيه الثقافة العربية مع الثقافة الكوسموبولية التي تسود في نيويورك. وهنا في دبي، توجد نساء مغربيات من الأطر العليا ومن مختلف الكفاءات، يشتغلن في مؤسسات مالية محلية وعالمية. بل هناك نساء مغربيات حتى في مجال الفقه يشتغلن واعظات دينيات ومُرشدات في المجلس الأعلى الديني كان لي شرف الالتقاء بهن، وهناك مُدرسات في جامعات يتوفرن على شهادات دكتوراه. هناك تطور نوعي في الكفاءات المغربية النسائية التي تشتغل هنا، دون إغفال دور المرأة المغربية ذات التكوين المتوسط التي تعيش هنا، والتي تقوم بمهام تربوية أساسية تنهض بواسطتها بالأجيال من خلال دورها في تدبير شؤون أسرتها، أو المرأة التي تمارس أعمالا بسيطة خارج البيت والتي تشتغل بكدها وبعرق جبينها لتمثيل المغرب أفضل تمثيل». تقول حنان خاتمة كلامها بالتماس العذر من أجل الذهاب